فن المقالة عند ميخائيل نعيمة

الدكتور محمود فليح القضاه* **الدكتور مرلين عدنان الغنميين****

الملخص

هَدَفَ هذا البحث إلى دراسة فن المقالة عند ميخائيل نعيمة الذي يعدُّ واحداً من أعمدة مدرسة المهجر ومن أبرز أعضاء الرابطة القلمية وأكثرهم نشاطاً، فكان نموذجاً من نماذج عصر التنوير في ثقافتنا العربية ، وكان من أبرز كتاب المقالة في الأدب العربي الحديث، وظهر له نتاج واضح في هذا الفن عكس عفويته وذاتيته وأسلوبه الخاص. وقد جال نعيمة في هذا الفن وكتب كثيراً من المقالات التي تعكس مدى سعة ثقافته واطلاعه على الفنون المختلفة وشتى مجالات المعرفة، فكانت هذه المقالات زاداً للثقافة العربية ورافداً مهماً من روافد المكتبة العربية، وقد تجلت مقالات نعيمة في عدد من الكتب كان من أبرزها كتاب الغربال، حيث تجلت في هذا الكتاب معظم الآثار النقدية والثقافية والإبداعية لنعيمة، ولا ننسى كتبه الأخرى: كزاد المعاد، والبيادر، والنور والديجور، وفي مهب الريح، وفيها بث نعيمة كثيراً من آرائه وتأملاته في الكون والإنسان والحياة، فكانت تلك الكتب منارات مشعة في عالم الأدب.

ولأن هذه المكتبة تخلو من دراسة فنية لفن المقالة عند نعيمة، كان لا بدَّ من البحث في فن المقالة – المفهوم والنشأة، والبحث في روافد المقالة عند نعيمة وتقسيمها إلى عدد من الأغراض، وبيان خصائص هذا الفن كما ظهر عند نعيمة.

---

* مركز اللغات- جامعة آل البيت
** مركز اللغات- جامعة آل البيت

مقدمة:

هذه دراسة بعنوان " فن المقالة عند ميخائيل نعيمة "، وحين نذكر ميخائيل نعيمة فإننا نذكره شاعراً وكاتب قصة ومسرح، كما نذكره كاتب مقال إلى جانب كثير من الأدباء والنقاد العرب الذين برعوا في كتابة المقالة كخليل مطران، وجبران خليل جبران، وإبراهيم المازني، والعقاد، وطه حسين، وأحمد أمين، وغيرهم كثير. فقد كان ميخائيل بآرائه وأفكاره منارة يهتدي بها الآخرون، فأضاءت مقالاته دروب الإنسانية وسماء الفكر بالتأمل العميق وجمال الأسلوب، وبقراءة مقالاته يتضح منهجه وفلسفته في التجديد والإبداع والانطلاق، فتخطى بذلك الحدود الإقليمية الضيقة إلى فضاء الإنسانية العالمية بكل اتساعها وشمولها، فكان الإنسان الحر مقصده ومبغاه.

كان لفن المقالة في أدب ميخائيل نعيمة نصيب كبير إذ كتب كثير من المقالات في نواحي الفكر والمعرفة، ولمّا كان هذا الجانب في أدب ميخائيل نعيمة لم يأخذ حقه بدراسة مستقلة من قبل الدارسين والباحثين، كان لا بدَّ من تخصيص هذه الدراسة لفن المقالة في أدب ميخائيل نعيمة، فالمقالة عند نعيمة فيها كثير من التنوع والشمول والتجديد بما يثري مكتبتنا العربية، ومن يدرس المقالة عند ميخائيل نعيمة يتحتم عليه دراسة المقالة كفن ازدهر وغدا انتشاره واسعاً بين فنون الأدب، فكتاب المقالة تناولوا شتى ألوان المعرفة وجوانب الثقافة الإنسانية المختلفة، ومن ثمَّ كان لا بدَّ من الاطلاع على كثير من الدراسات التي تناولت فن المقالة بالبحث والتحليل، ولا بدَّ أيضاً من الاستفادة من آراء كثير من الأدباء والنقاد في فن المقالة، فهؤلاء الأدباء والنقاد عرباً كانوا أو غربيين درسوا فن المقالة وبينوا خصائصها وعناصرها وشروطها وأنواعها، ومن هنا فإنه يمكن القول: إنّ طبيعة هذه الدراسة قد فرضت البحث في:

أولاً: فن المقالة: 1- مفهوم المقالة في الأدب.

2- نشأة المقالة وتطورها في الأدب.

ثانياً: روافد المقالة عند ميخائيل نعيمة.

ثالثاً: أغراض المقالة عند ميخائيل نعيمة.

رابعاً: الخصائص العامة لفن المقالة عند نعيمة.

مفهوم المقالة:

1- مفهوم المقالة في الأدب:

تعدّدت الأقوال وكثرت في تعريف المقالة، فعرفها كثير من النقاد والدارسين ووضعوا لها ضوابط تميّزها عن غيرها من الفنون الأدبية الأخرى، كما تحدث هؤلاء النقاد واختلفوا في نشأة المقالة، فمنهم من جعلها عربية الجذور ومنهم من جعلها غربية الجذور، وإذا ما تتبعنا تعاريف المقالة في الكتب والدراسات المختلفة فإننا نجدها كثيرة، وقبل أن نعرض لتعاريف المقالة في الكتب المختلفة لا بدَّ لنا من تتبع جذور المقالة في المعجم العربي على اعتبار أنّ جذرها مادة (ق و ل) ففي المعجم الوسيط - قال قولا ومقالا ومقالة: تكلم فهو قائل والقول: الكلام، والمقالة هي القول(1)، ومن هنا يظهر أنّ لفظ المقالة مشتق من مادة (القول) وهي تعني القول كما جاء في المعجم الوسيط، وقد قال النابغة الجعدي:

مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل

أمّا المفهوم الفني للمقالة فيمكن تلمسه في التعريفات التي قدمها مجموعة من النقاد العرب والغربيين لهذا الفن، فيعرّفها محمد يوسف نجم بأنَّها " قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع – تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من التكلف والرهق، وشرطها الأول أن تكون تعبيراً عن شخصية الكاتب" (2)، والمقالة عند أحمد الشايب: " تطلق في العصر الحديث على الموضوع المكتوب الذي يوضح رأياً خاصاً، وفكرة عامة أو

(1) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية – استانبول، ص767،

(2) محمد يوسف نجم، فن المقالة، دار بيروت - بيروت، 1957، ص95..

مسألة علمية أو اقتصادية أو اجتماعية يشرحها الكاتب ويؤيدها بالبراهين" (1). أمَّا عبد العزيز عتيق فيرى أن المقالة: " قطعة من النثر الفني يتحدث فيها الكاتب بنفسه ويحكي تجربة مارسها أو حادثا وقع له أو خاطرا خطر له في موضوع من الموضوعات" (2).

وقد عرف المقالة عدد من النقاد الغربيين،منهم الدكتور (جونسون) إذْ عرفها بأنها: " نزوة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام، هي قطعة لا تجري على نسق معلوم ولم يتم هضمها في نفس كاتبها" (3)، وعرفها (موري) في قاموسه بأنها: "قطعة إنشائية ذات طول معتدل تدور حول موضوع معين أو جزء منه" (4)، ومن خلال التعريفات السابقة، فإنه يمكن القول: إن المقالة قطعة نثرية محدودة الطول تعالج موضوعاً معيناً وتعكس وجهة نظر كاتبها. ومن ثمَّ فالمقالة قد تحددت عند النقاد العرب والغربيين في أنها تكتب نثراً وليس شعراً، وهي معتدلة الطول، وتعبّر عن رأي صاحبها.

2- نشأة المقالة وتطورها في الأدب:

ما من دارس للمقالة إلا ويتحدث عن نشأتها في الأدبين العربي والغربي، ففي الأدب العربي يمكن القول إنّ المقالة قديمة النشأة، ولها جذورها في أدبنا العربي القديم، وإلى هذا ذهب عدد من النقاد، فقد ظهرت بذور المقالة جلية عند العرب القدماء في عدد من الآثار الأدبية، ففي القرن الثاني الهجري كانت رسائل عبد الحميد

---

(1) أحمد الشايب، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8 ، 1998. ص94.

(2) عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية، بيروت، 1973، ص 229.

(3)محمد يوسف نجم، فن المقالة، مرجع سابق، ص93،ولم يوثق محمد نجم تعريف (جونسون) للمقالة.

(4) المرجع نفسه، ص 94، ولم يوثق محمد نجم تعريف (موري) للمقالة.

الكاتب (ت132) ولاسيَّما رسالته إلى ولي العهد[1]، كما تمثلت المقالة عند ابن المقفع (ت142) في رسالته إلى الصحابة [2]، وظهرت المقالة النقدية والاجتماعية والفكرية عند الجاحظ (ت255) في كتابه البخلاء ورسائله العديدة، وظهرت المقالة أيضاً عند أبي حيان التوحيدي في كتابيه (الإمتاع والمؤانسة) و (المقابسات)[3]. ولا ننسى فصول (ابن الجوزي) في كتابه (صيد الخاطر) التي سجل فيها خواطره نتيجة تجاربه وعلاقاته مع الأشياء فكانت تلك الفصول خير مثال على المقالة في أدبنا العربي القديم. يقول ابن الجوزي في مقدمة (صيد الخاطر):" لما كانت الخواطر تجول في تصفح أشياء تعرض لها، ثم تعرض عنها فتذهب، كان من أولى الأمور حفظ ما يحظر لكي لا ينسى... "[4].

فالمقالة في الأدب العربي وليد من بذور عربية ومن فكر عربي أخذ سمته في التطور بحسب ظروف عصره وبيئته ومجتمعه وضروراته، وإلى هذا ذهب عباس محمود العقاد حين رأى أن الفصل في الحقيقة هو أصل المقالة الأول في الآداب العربية وهو أقدم رائد للمقالة في الآداب العالمية لأنه ظهر قبل ظهور مقالات (مونتاني) [5]، وحديثاً يمكن القول إنّ المقالة في الأدب العربي الحديث قد انتشرت منذ القرن التاسع عشر، وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الصحافة في مصر بدءاً بطور المدرسة الصحفية الأولى وما يمثلها من كتاب كرفاعة الطهطاوي وعبدالله أبو السعود وميخائيل عبد السيد حين نشروا مقالاتهم في الوقائع المصرية ووادي النيل والوطن

---

(1) انظر محمد يوسف نجم ، فن المقالة، مرجع سابق ، ص19.

(2) حسين جمعة، قراءة في المقالة العربية، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب – دمشق، العدد 433، أيار 2007، ص8.

(3) المرجع نفسه.

(4) ابن الجوزي، صيد الخاطر، دار الكتب العلمية – بيروت، ص11.

(5) عباس محمود العقاد، يسألونك، المكتبة العصرية للطباعة واالنشر، بيروت، ط3، 1981، ص 5.

وغيرها، ومن ثم تطورت المقالة على يد مجموعة من الكتاب كأديب إسحق وسليم النقاش وسعيد البستاني ومحمد رشيد رضا وخليل مطران ونجيب الحداد وغيرهم كثير، كما كان للشؤون السياسية والاجتماعية والأدبية دور كبير في استقطاب العديد من كتاب المقالة كعبد الرحمن شكري وعبد العزيز البشري وطه حسين وإبراهيم عبد القادر المازني وعباس محمود العقاد وغيرهم [1].

وحين نعرض لنشأة المقالة عربياً لا بدَّ من تناول نشأتها غربياً، وهنا يمكن القول إن رائدها الأول في الغرب كان الفرنسي (مونتين) الذي بدأ الكتابة نحو سنة 1571، وقد كان مهتما بمشكلات عصره الفكرية والاجتماعية التي انبثقت من نهضة الأدب الكلاسيكي والفلسفة القديمة، وقد كانت كتابته في هذه الآثار تخلو من العنصر الذاتي خلواً يكاد يكون تاماً، وما لبث أن شق طريقه نحو إبداع فن جديد (فن المقالة) نحو سنة 1574، فأخذ يغلب على كتاباته العنصر الشخصي إلى أن أصبحت مقالاته تمثل أوج ما بلغه من تطور وارتقاء في هذا الفن الجديد بعد أن أتيح له في سنة 1588إخراج طبعة جديدة نقّح فيها مقالاته السابقة[2].

أمَّا الرائد الثاني لفن المقالة في الغرب فقد كان (فرنسيس باكون) الذي برز في إنجلترا، ففي سنة 1612 أصدر طبعة جديدة من موسعة من مقالاته، وقد كان عددها ثماني وثلاثين، ومن ثم تطور باكون في كتابة مقالاته، فعمد على كثير من التصميم والتنسيق وإلى الحديث المرسل المستفيض الذي ينضح بالحيوية والألفة[3]. واستمر تطور المقالة فنياً وموضوعياً في أوروبا على أيدي الكتاب منذ القرن السابع عشر، وفي طليعتهم (إبراهام كاولي)، و(دريدن)، وفي القرن الثامن عشر تطورت المقالة

(1)انظر محمد يوسف نجم ، فن المقالة، مرجع سابق 64—70.

(2) محمد يوسف نجم ، فن المقالة، مرجع سابق ، ص 32.

(3) المرجع نفسه، ص 36.

على يد عدد آخر من الكتاب مثل:(رتشارد ستيل)، و(جوزيف أديسون)، ومن ثم في القرنين التاسع عسر والعشرين ظهرت مجموعة من الكتـــاب كروبـــرت ستيفنـــسون وماكس بيربوم وإدوارد لوكاس... [1]

روافد المقالة عند ميخائيل نعيمة:

تبوأ ميخائيل نعيمة مكانة رفيعة في النهضة الأدبية الحديثة بما قدمه من أعمـــال، فهو أديب وناقد وشاعر ومفكر، وقد خلّف تراثاً أدبياً وفكرياً كبيراً، فقد كتب عشرات الكتب في الموضوعات المختلفة، كان من أشهرها كتاب الغربال الذي دعا فيـــه إلـــى أدب جديد، ولهذا رأى الدكتور محمد مندور أن غاية هذا الكتـــاب هـــي: " الهجـــوم العنيف على الأدب العربي التقليدي المتزمت وعلى التحجر اللغوي ثم على العـــروض التقليدي "[2]، ومن ثمَّ فإن نعيمة قد سعى في كتاباته إلى رؤية جديدة لـــلأدب والفكـــر معاً، كما كان يرى أن الحاجة إلى أدب جديد وفكر جديد حاجة ملحة للـــتخلص مـــن قيود التقليد التي كانت تقيد أدبنا وفكرنا ردحاً كبيراً من الزمن. ولا ننسى أنه من قـــام بكتابة دستور الرابطة القلمية، فقال:" ليس كل ما سطر بمداد على قرطاس أدبـــا، ولا كل من حرر مقالاً أو نظم قصيدة موزونة بالأديب، فالأدب الذي نعتبـــره هـــو الأدب الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها، والأديب الذي نكرمه هـــو الـــذي خص برقة الحس ودقة الفكر، وبعد النظر في تموجات الحياة وتقلباتها وبمقدرة البيان عما تحدثه الحياة في نفسه من التأثير... "[3].

(1) المرجع نفسه، ص 44-64.

(2) محمد مندور النقد والنقاد المعاصرون، دار نهضة مص، ص 29.

(3) ميخائيل نعيمة، سبعون، المجموعة الكاملة، دار العلـــم للملايـــين، بيـــروت، مجلـــد 1، 1979، ص 446.

ويمكن القول: إن دعوة نعيمة إلى التجديد لم تكن بمنأى عن الثقافات الأخرى، فقد كان مطلعاً على ثقافات مختلفة كالثقافة الإنجليزية والروسية والفرنسية، وقد أجمع كثير من النقاد على تأثر نعيمة بهذه الثقافات، ومن هنا يصف الدكتور محمد مندور تكوين نعيمة الثقافي، فيقول هو " تكوين معقد، يجمع في ثقافته بين تراث الشرق وتراث الغرب، بل يجمع بين التراث الأوروبي الأمريكي والتراث الروسي " [1] كل هذا كان عاملاً أساسياً في بلورة طبيعة التفكير الأدبي لدى نعيمة، ويقول نديم نعيمة في كتابه (الفن والحياة) إنّ فلسفة نعيمة كانت بعيدة الجذور في الفكر العالمي، يونانية ومصرية القديم وهندية وسامية، ناهيك بأوروبية الحديث[2]. كما " نهل (نعيمة) عبّر ستة وعشرين عاماً من الترحال المتواصل من الآداب الروسية والإنجليزية والفرنسية"[3]، وقد كان نعيمة يتمثل هذا الأمر بضرورة الانفتاح على الثقافات والاطلاع على الآداب العالمية، فالأديب يتأثر في حياته وطريقة تفكيره بظروف عصره ويكون للمؤثرات بشتى أنواعها دور واضح في تلوين أدب الأديب، وتكون روافد مهمة تمده بالأفكار وتوجهه إلى طريقة التعبير على اعتبار أن الفكر البشري لا يعرف استقلالاً مطلقاً ولا يتكون المفكر بحجب فكره عمن عداه، وعن تأثير غيره من أقطاب النظر العقلي، ولن يتكون فكر بالانقفال والانعزال[4]، كما أن الكاتب أو الشاعر الأصيل هو الذي يفخر بما هضمه وتمثله من آراء الآخرين وثقافاتهم، سواء كان من بني قومه أو من كبار الكتاب والشعراء العالميين [5].

(1) محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون ، مرجع سابق، ص49.

(2) نديم نعيمة، الفن والحياة، دار النهار للنشر – بيروت، 1973. ص 108 .

(3) وليد منير ، ميخائيل نعيمة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1993، ص 8..

(4) عبد الفتاح الديدي، النقد والجمال عند العقاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ص 68-69.

(5) محمد غنيمي هلال، قضايا معاصرة في الأدب والنقد، نهضة مصر، القاهرة، ص 50.

إن الدارس لنتاج ميخائيل نعيمة في علوم المعرفة المختلفة يجد أن هذا النتاج كان شاهداً على هضم نعيمة لكثير من الثقافات، فدعا إلى تأطير قيم نقدية جديدة: كالصدق في التعبير عن حقيقة النفس، والدعوة إلى وحدة القصيدة، وأن يتحرر الأدب من الصناعة اللفظية، إلى غير ذلك من القيم النقدية، فضلاً عن مجموعة من الحاجات الروحية التي يراها نعيمة مقاييسَ ثابتة يجب أن تقاس بها قيمة الأدب [1]، ويمكن القول إن القيم النقدية الجديدة والحاجات الروحية التي آمن بها نعيمة قد ظهرت جلية في فكره وأدبه خاصة فن المقالة، ففن المقالة في أدب ميخائيل نعيمة احتل حيزاً واسعاً من نتاجه الأدبي الكبير. وإذا ما أردنا النظر في المقاييس التي دعا إليها نعيمة فإننا نلمسها جلية في النقد الرومانسي، وقد احتلت مقاييس نعيمة جانباً كبيراً من جوانب ذلك النقد ونظريته في تأكيد الذات[2]، وهذه المقاييس نجدها أيضاً قد أخذت حيزاً واسعاً في النتاج الأدبي لأدباء الرابطة القلمية.

وحين دعا نعيمة وغيره من أعضاء الرابطة القلمية إلى التجديد في الأدب والنقد، فإنه بذلك قد دعا إلى الثورة في كثير من الموضوعات سواء كان ذلك في الشكل أو المضمون أو البناء أو اللغة وغير ذلك من الموضوعات، وهو في تلك الدعوة يشير صراحة إلى استلهامه مبادىء التجديد في الأدب من النقاد الغربيين، وهو يشير إلى موليير: يقول نعيمة في مقالة (الحباحب) "نعم، فتشوا عن موليير ليضحكنا ويبكينا ويجعلنا نخجل من ذواتنا في وقت واحد. إنما اذكروا أن موليير لا يولد من درس المعاجم والعروض والقوافي وجوائزها من خبن وخبل وطي ورقص. موليير لا تحصره أبحر بين طويلها ووافرها ورجزها ورملها. لا تقف في وجهه خرافات

(1) ميخائيل نعيمة، الغربال، مؤسسة نوفل، لبنان، ط16، 1998، ص 74.

(2) انظر: محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، دار العودة –بيرت، 1973، ص 142-147.

وترهات وشرائع وأوهام"[1]، كما يمكن الإشارة إلى تأثر نعيمة وغيره من أعضاء الرابطة القلمية في تجديد الأدب بأدباء آخرين كبليك ووايتمان وأمرسن [2].

وحين يرى نعيمة أن الأدب الحقيقي هو رسول بين الكاتب والقارىء وأن وظيفته تنحصر في تناول الإنسان هذا الحيوان المستحدث الذي هو أحق بالعناية من سواه[3]، لا شك أن هذا التجديد للأدب نابع من احتكاكه بالثقافة الغربية، فكثير من أدباء الغرب وخاصة الرومانسيين الذين كانوا مهتمين بالإنسان وقضاياه كما هو الحال لدى روسو و فكتور هوجو وشيلي وغيرهم [4]، ولا يخفى على الدارسين أبرز معالم الآداب الغربية في اعتمادها على الذوق الشخصي، وفي اهتمامها بقضايا الإنسان وتجاربه، وفي قدرة هذا الإنسان على التعبير عن مشاعره بكل اتجاهاتها.

ولا يخفي نعيمة أيضاً تأثره بالأدباء الروس كبوشكين، وليرمونتوف، ووتورغينيف،وغوركي، وتشيخوف، يقول: " ومن شعر بوشكين وليرمونتوف ونكراسوف أطللت على الكآبة العميقة في النفس الروسية، ومن روايات تورغينيف الأنيقة استطعت أن أدخل قصور الشرفاء، أمَّا بيلينسكي – سيد النقاد الروس بلا منازع – فقد كشف لي عن مواطن الصدق والقوة والخير والجمال في العمل الأدبي، وماذا أقول في تشيخوف –سيد القصاصين الروس وغير الروس...[5]، ولا يخفي نعيمة إعجابه بمعاصريه من الأدباء والنقاد العرب، فهو معجب بما قدمه عميد الرابطة

---

(1) ميخائيل نعيمة، الغربال، مصدر سابق، ص 67.

(2) أسعد دوراكوفيتش، نظرية الإبداع المهجرية في النقد الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، 1987، ص 84– 86.

(3) ميخائيل نعيمة، الغربال، مصدر سابق، ص 24- 25.

(4) انظر: محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، مرجع سابق، ص 123- 132.

(5) ميخائيل نعيمة، أبعد من موسكو ومن واشنطن، المجموعة الكاملة، دار العلم للملايين، بيروت، مجلد 6، 1987، ص 209.

القلمية جبران خليل جبران للأدب والنقد، فيقول في مقالة عواصف العواصف " إن أسلوب جبران ونغمته ودقة وصفه قد أعطتنا مفهومية جديدة عن الجمال في التنسيق والبيان. فنثره الشعري المترقرق، المتناسب، المتوازن، قد جعل القافية المتتابعة في أعيننا قذى... " [(1)]، ولا ينكر دارس ما أحدثه جبران من تغيير في الكتابة الأدبية على صعيدي الشكل والمضمون في سبيل خدمة اللغة العربية وآدابها، وإذا كان إعجاب نعيمة بجبران له أسبابه ودوافعه، فكلاهما يشترك في الحال والمكان والزمان فهما من فئة الأدباء المهاجرين الذين عاشوا في أمريكا تحت مظلة الرابطة القلمية التي تأسست في نيويورك عام 1920، فإن هناك إعجاباً آخر من نعيمة بجماعة من مصر شكلت مدرسة الديوان عام 1920، وقد ضمت هذه المدرسة: عباس محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازني، وعبد الرحمن شكري، وإذا كانت المسافة بعيدة بين نعيمة وهذه الجماعة (القارة الأمريكية والقارة الإفريقية)، فإن هذا لم يمنع من إعجاب نعيمة بآراء هذه الجماعة، يقول نعيمة في فرحه بسبب تعرّف مدرسة الديوان " ولعل أطيب ساعة في حياتي الأدبية هي الساعة التي اهتديت فيها إلى هذه الجماعة، ولمست الحياة الجديدة فيها، فأيقنت من أن ما كان منذ سنين حلماً من أحلامي قد أصبح اليوم حقيقة محسوسة " [(2)]، ولا ننسى أن العقاد هو من كتب مقدمة الغربال فيظهر فيها قرابة الفكر بين الاثنين، يقول العقاد في هذه المقدمة: " صفاء في الذهن، واستقامة في النقد، وغيرة على الإصلاح، وفهم لوظيفة الأدب، وقبس من الفلسفة، ولذعة من التهكم، هذه خلال واضحة تطالعك من هذا (الغربال) الذي يطل القارئ من خلاله على كثير من الطرائف البارعة والحقائق القيمة "[(3)].

---

(1) ميخائيل نعيمة، الغربال، مصدر سابق، ص 250.

(2) ميخائيل نعيمة، الغربال، مصدر سابق، ص 236.

(3) المصدر نفسه، ص5.

وثمة نقطة مهمة، وهي أن هذا التوافق الفكري لم يأتِ عبثاً وإنَّما جاء بما حصلاه معا من ثقافات أجنبية، يقول العقاد في تأثر أعضاء مدرسة الديوان بالأدب الأدب الإنجليزي وغيره من الآداب الأخرى: " فهي مدرسة أوغلت في القراءة الإنجليزية، ولم تقتصر قراءتها على أطراف من الأدب الفرنسي، كما كان يغلب على أدباء الشرق الناشئين في أواخر القرن الغابر. وهي على إيغالها في قراءة الأدباء والشعراء الإنجليز لم تنسَ الألمان والطليان والروس والإسبان واليونان واللاتين الأقدمين" (1)، وهكذا الحال كان بالنسبة إلى تأثر أعضاء الرابطة القلمية بالثقافات الأجنبية(2).

أغراض المقالة عند ميخائيل نعيمة:

يعدُّ ميخائيل نعيمة أحد رواد التجديد في الأدب العربي الحديث، وهو من أبرز أعضاء الرابطة القلمية، حيث كان من أعظمهم ذكاء، وأكثرهم نشاطاً، وقد تناول مختلف ألوان النشاط الأدبي: كالقصة والشعر والمقالة والمسرحية وغير هذا من الفنون الأخرى، وظهرت مؤلفاته العديدة التي نالت حظاً وافراً من الشهرة، كان من أبرزها كتابه (الغربال) عام 1923، وقد كان لفن المقال نصيب وافر في حمل آراء نعيمة في الأدب والنقد وفلسفته في الحياة، ولكثرة مقالاته وتنوعها وشمولها جوانب المعرفة المختلفة كان لا بدَّ من تقسيمها إلى أقسام تمثل أغراض المقالة عند نعيمة على النحو الآتي:

1- المقالة الأدبية:

تحدث كثير من النقاد عن المقالة الأدبية وطبيعتها وشروطها وأقسامها، فحددها بعضهم بأنها" التي تدرس شخصية أو ظاهرة أو اتجاهاً أو أثراً في الأدب العربي

(1) عباس العقاد، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي،نهضة مصر،القاهرة،ص189.
(2) محمد خفاجي، قصة الأدب المهجري ، دار الكتاب اللبناني – بيروت، 1986، ص 142.

القديم أو الحديث، أو في الأدب الأوروبي الغابر أو المعاصر" [1]، وحددها بعضهم بأنها " قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية خالية من الكلفة والرهق " [2]، وفي شروطها أشار محمد نجم بأن " شرطها الأول أن تكون تعبيراً عن شخصية الكاتب " [3]، واشترط زكي نجيب محمود في كاتبها " أن يكون الأديب ناقماً، وأن تكون النقمة خفيفة يشيع فيها لون باهت من التفكه الجميل... " [4]، وقد تنوعت المقالة الأدبية عند ميخائيل نعيمة، وظهرت بأكثر من صورة مع أن بعض النقاد قد رأى صعوبة في تقسيم المقالة " لأن طبيعة الفن الأدبي لا تقره ولا توافق عليه "[5]، ومن هنا فإن من ينظر في فن المقالة عند نعيمة يجد أنه قد خلف مقالات أدبية جاءت على صور متعدّدة، من أبرزها:

أ - **الصورة الشخصية**: وهي حديث عن شخصية من الشخصيات البارزة في المجتمع، تتناولها بالوصف والتحليل الخفيف[6]، "وهي في أحسن حالاتها ضرب من الحديث الشخصي الأليف، والثرثرة والمسامرة والاعتراف والبوح" [7]، وقد برز هذا اللون من ألوان المقالة جلياً عند ميخائيل نعيمة واحتل مساحة واسعة في مقالاته، وقد تركز أغلب هذا اللون من المقالات في كتابه (في الغربال الجديد)، ففي مقالة له: (نسيب عريضة) يستهل نعيمة هذا المقالة بصورة بائسة للبلاد العربية، حين كانت تئن تحت وطأة الحكم العثماني، يقول: " أطل القرن العشرون على الديار العربية وهي

(1) أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1984، ص 375.
(2) محمد يوسف نجم ، فن المقالة، مرجع سابق، ص 95.
(3) المرجع نفسه، ص95
(4) زكي نجيب محمود، جنة العبيط، دار الشروق، بيروت، ط2، 1982، ص9.
(5) محمد يوسف نجم ، فن المقالة، مرجع سابق، 134.
(6) عبد القادر الطويل، المقالة في أدب العقاد، الدار المصرية اللبنانية – القاهرة، 1987، ص 172.
(7) محمد يوسف نجم ، فن المقالة، مرجع سابق، ص 102.

رازحة تحت أثقال أربعة قرون من الحكم العثماني نتيجة الفقر في أرجائها، ويتربع الذل في قلوب بنيها وبناتها، وتخيم العتمة على عقول كبارها وصغارها "[1]، وينطلق نعيمة من هذه المقدمة ليصف ثورة الرابطة القلمية وإنجازاتها، يقول:" لقد كان من ثورة (الرابطة القلمية) على التقليد أن خلفت أدباً إنسانياً شاملاً، وخلقت شعراً لا أثر فيه للفخر والحماسة والهجاء، والتسكع في المدح، والتفجع الكاذب في الرثاء، أم الغزل فقد أقلعت فيه عن أساليب القدامي، وأمَّا القوالب الشعرية فقد زاوجت فيها ما بين البحور الكاملة ومجازيئها،... "[2].

ولا ينسى نعيمة أن يقدم ترجمة شخصية لنسيب عريضة تحدث فيها عن تاريخ ولادته ومكانها، كما تناول في هذه الترجمة نشأته وملامح شخصيته، فنسيب عريضة كما يراه نعيمة يحمل "دماثةً في الخلق واتزاناً في العقل، وطهارة في القلب واللسان، وذكاء في الذهن، إلى وداعة في النفس، وطبع مسالم يكره الضغينة، وميل فطري إلى المطالعة والتحصيل"[3]، ويوثق نعيمة التفاصيل الدقيقة لهجرة عريضة واختياره السفر إلى نيويورك بدلا من روسيا، ويبيّن نعيمة كيف اختار عريضة طريق الأدب بدلاً من التجارة التي اختارها له والده والمراحل التي مر بها حتى وصل إلى عالم الأدب والشهرة. ويبدي نعيمة بعد ذلك إعجابه بشعر نسيب عريضة، فيقول: " حسبك أن تقرأ قصيدة أو قصيدتين من نظم نسيب عريضة لتشعر أنك في حضرة شاعر فذ، رحب الخيال، مرهف الحس، رفيع الذوق، خفيف الظل، صافي النبعة، صادق النبرة"[4]، ومن ثمَّ يرى نعيمة أن نسيب عريضة حاله كحال إخوانه في الرابطة القلمية قد عاش

(1) ميخائيل نعيمة، في الغربال الجديد، دار العلم للملايين – بيروت، المجموعة الكاملة - مجلد 7، 1979، ص438.

(2) المصدر نفسه، ص 439.

(3) المصدر نفسه ، ص 440.

(4) ميخائيل نعيمة، في الغربال الجديد، مصدر سابق ، ص 442.

في غربتين: الغربة عن الوطن المادي، والغربة عن الوطن الروحي، وكانت الغربة الثانية في نظر نعيمة هي الأقسى على قلب نسيب عريضة

ويتناول نعيمة مصطفى فروخ بمقالة استهلها بقوله:" كان من حسن حظي أن عرفت مصطفى فروخ معرفة العين للعين والروح للروح. عرفته كتلة ضئيلة، نحيلة من اللحم والعظم والدم، تمشي على الأرض فتكاد لا تشعر بها الأرض "(1). ويصف نعيمة تجربته الحية مع مصطفى فروخ حين تتجلى لحظة إبداع فروخ، فتتحول اللوحة على يديه فلذة حية من كبد الحياة الزاخرة باللون والحركة. أمَّا كيف شهد نعيمة عمل مصطفى فروخ الخلاق، فكان ذلك من خلال زيارتين قام بهما فروخ لنعيمة في بيته، وفي هاتين الزيارتين قام فروخ برسم نعيمة ورسم الطبيعة المحيطة بشرفة منزل نعيمة، وقد أبدى نعيمة إعجابه بعمل فروخ وبفروخ نفسه فيرسم صورة عظيمة له "ولقد شعرت وأنا أمشي إلى جانبه، كأنني أمشي إلى جانب نمرود من النماردة، أو جبار من الجبابرة، وكيف لا يكون جباراً من يبسم للموت الذي يمتص دمه قطرة قطرة،..." (2).

كما يصف نعيمة فروخ لحظة إبداعه، يقول: " كنت أسترق النظرات إلى وجهه إذ هو يسترق النظرات إلى وجهي. لقد تحول ذلك الوجه الأصفر الشاحب وجهاً طافحاً بنور النصر، ولذة العمل، وغبطة الحياة بالحياة. إنه وجه الطفل تضحك له أمه فيضحك لأمه. ووجه العابد وقد أثملته عبادته. إنه وجه الفنان وقد انفصل عن الكون ليختطف لمحة عابرة من حياة الكون ويجعلها غير عابرة من بعد أن يحبسها ضمن زمان ومكان وفي قفص من الخطوط والألوان" (3)، ولا يلبث نعيمة إلا أن يقدم فكر

---

(1) ميخائيل نعيمة، في الغربال الجديد، مصدر سابق، ص 390.

(2) المصدر نفسه ، ص 391.

(3) المصدر نفسه ، ص 392.

فروخ وفلسفته في الحياة، تلك الفلسفة التي لطالما آمن بها، فالحياة هي حياة الفكر أولا وحياة الروح، إنها كتاب، وزهرة، ولوحة، وحب خالص، هذا هو الإنسان، وهذه هي حياته، وما تبقى فحيوانية لا تعرفها النفوس الكبيرة [1]، ويختم نعيمة مقالتـــه بالـــدعاء لفروخ وفنه: " ألا بوركت يا مصطفى. وبورك فنك العـــابق بالعذوبـــة والإخـــلاص وبورك روحك الصادق، الخيّر النبيل. فلبنان الذي أنجبك بات أغنـــى منـــه قبـــل أن أنجبك،..." [2].

ومن مقالات نعيمة التي تمثل الصورة الشخصية مقالتـــه بعنـــوان إلـــى بـــشارة الخوري (الأخطل الصغير)، وفي هذه المقالة يبدي نعيمة إعجابه بالأخطـــل الـــصغير وشعره، ويشير إلى ديوانه الذي رسم له صورة حية، فيقول:" أحسنت إلى نفسك وإلى الأدب العربي عندما صحت عزيمتك على لمّ شتيت شعرك ونشره علـــى المـــلأ فـــي ديوان بعنوان " شعر الأخطل الصغير " [3]، ثم يضيف " إنها لغلة وفيرة ومباركة تلك التي انطوت عليها دفتا كتابك "[4]. هذا الإطراء والإعجاب بالأخطل الصغير وشـــعره كان السمة الغالبة في هذه المقالة إلى خاتمتها التي حمّلها نعيمة عبارات الدعاء بالعافية للأخطل الصغير، يقول: " بارك الله فيك، ومتعك بالعافية، ومدّ في نشاطك وسنيك"[5]. وعند النظر في مقالات الصورة الشخصية عند نعيمة فإنه يمكن القول إنهـــا كثيـــرة، كمقالاته في إلياس أبو شبكة، و خليل مطران، وعمر فاخوري، وإيليا أبو ماضي،...

ب- المقالة الوصفية: يمكن القول إن هذا اللون يعتمد على دقة الملاحظة، والغوص في أعماق الطبيعة، في عبارة رشيقة تنقل أحاسيس الكاتب وصـــورة الطبيعـــة، كمـــا

---

(1) المصدر نفسه، ص 396.
(2) المصدر نفسه، ص 397.
(3) ميخائيل نعيمة، في الغربال الجديد، مصدر سابق، ص 545.
(4) المصدر نفسه، ص 545.
(5) ميخائيل نعيمة، في الغربال الجديد، مصدر سابق ص 546.

تنعكس في مرآة نفسه بصدق وإخلاص [1]، ومن ثمَّ فالمقالة الوصفية تعنى بتصوير الكاتب للبيئة المكانية، وتبرز تفاعله وتعاطفه مع هذه البيئة، ويرى محمد يوسف نجم أن ما يميّز المقالة الوصفية عن مقالات العلماء وبحوثهم هو امتزاج كاتب المقالة مع الطبيعة والتعبير الإنساني عن هذا الامتزاج [2] .

وإذا ما بحثنا في المقالة الوصفية عند ميخائيل نعيمة فإننا نلمحها جلية فيما كتب من مقالات، ولا ننسى أن نعيمة من أدباء المهجر وهم من أخلص أبناء الطبيعة وعشاقها، فهم عميقو الإحساس بها، عميقو الحب والاتصال بها، يرون في كل ما فيها أشياء حية: تحب وتكره، تسعد وتشقى، تفرح وتحزن، وترجو وتخيب [3]، وقد صور نعيمة في حياة جبران مدى شعور المهجريين بالطبيعة بصورة دقيقة، فقال: " سيان عند الشجرة أأكل ثمرتها إنسان أم ثعبان، أو تفيأ ظلها قنفذ أم غزال، أو تدفأ بحطبها ملاك أم شيطان، فالإنسان والثعبان، والقنفذ والغزال، والملاك والشيطان، أبناء الغاب الواحد، وللغاب منهم غاية واحدة، وله فيهم مشيئة واحدة، ومن جهلها فعاندها، سحقته فأشقته " [4].

ويظهر شعور نعيمة العميق بالطبيعة وتصويره النابض بالحياة في كتابه (البيادر) حين قال:" يا الله، أمس جاءني رسولك نيسان وعلى حقويه منطقة من شقائق النعمان والأقحوان، وعلى رأسه إكليل من النسرين والوزال، وقد لف ذراعيه بالورود والياسمين والريحان، وساقيه بالأرز والسرو والسنديان...[5] ، وفي مقالة (الصخور)

---

(1)عبد القادر الطويل، المقالة في أدب العقاد، مرجع سابق ، ص 179.

(2) محمد يوسف نجم ، فن المقالة، مرجع سابق، ص 114.

(3)عيسى الناعوري، أدب المهجر، مرجع سابق، ص98.

(4)عيسى الناعوري، أدب المهجر، مرجع سابق، ص 100.

(5)ميخائيل نعيمة، البيادر، دار العلم للملايين – بيروت، المجموعة الكاملة - مجلد 4، 1986، ص 455.

يظهر إحساس بالصخور وتفاعله معها ، فيستهل مقالته بمباركة هذه الصخور "تباركت الصخور ! تبارك قزمها وعملاقها، وداجنها وآبدها، وعابسها وضاحكها، تبارك أسودها وأبيضها، وأغبرها وأصفرها، وأزرقها وأسمرها، وما كان منها بلون الشحم واللحم.......تبارك صمتها ما أفصحه، وسكونها ما أرهبه، وعماها ما أبصره"[1].

ويتجلى إحساس نعيمة بالصخور ويزداد تفاعله معها، فيقول "بيني وبين الصخور مودة ما استطيع تفسيرها، ولا تحديد الزمان الذي نشأت فيه. ولكنني أحسها عميقة وثيقة بعيدة الغور والقرار. فعلها تعود إلى يوم كنت طينة في يد الله"[2]، ويبعث نعيمة الحياة في صخور صنين، وكأنه يقدم صورة حية لإنسان حي فيظهر تعاطفه وارتباطه الوجداني بها فيعكس بذلك حبه للأرض التي يحيها عليها، "وفي سفوح صنين أسرف الصخور وعشائر وجيوش مجيشة هي أسرة وعشائره وجيوشه. فلا شك في أنها من صلبه وروحه. وهو عطوف عليها عطف أحسن الآباء على أحب البنين"[3]. ويمكن القول إن صخور جبل صنين كانت رمزاً للجمال والعظمة في نفس نعيمة فهي ملهمته، وهي التي بثت السعادة في نفسه وقلبه وكانت مصدراً لوحيه، فأشكال الصخور تلك لا نهاية لبدائعها وغرائبها. فمنها ما يبدو كأنها المركب في البحر، ومنها ما يتراءى لك أبراجاً ومنارات، ومنها ما يذكرك بأبي الهول أو بعابد منقطع إلى عبادة ربه[4].

وفي مقالة وصفية أخرى لنعيمة بعنوان (هجم الربيع) تظهر قدرة نعيمة الفائقة في وصف الربيع وتصويره، فهو يرسم لك صورة فنان عاش الربيع بكل جوانحه فقدم

---

(1) ميخائيل نعيمة، البيادر، دار العلم للملايين – بيروت، المجموعة الكاملة - مجلد 4، 1986، ص 605.

(2) المصدر نفسه، ص 606.

(3) المصدر نفسه، ص 607.

(4)ميخائيل نعيمة، البيادر، مصدر سابق، ص 609.

أجمل اللوحات الفنية الغنية بالشعور والعاطفة، فيشعر القارئ بأنه يعيش لحظات الوجود التي عاشها الفنان نفسه بكل ما فيها من مخلوقات ومنها الطبيعة بكل عناصرها.

وفي هذه المقالة يرسم نعيمة صورة دقيقة للربيع في لبنان حين ينهزم البرد والثلج، يقول "وبانهزام البرد والثلج تتنفس أرضنا الصحراء ويأخذ وجهها الأجرد يكتسي بزغب من الخضرة الحيية. وهذه الخضرة الحيية لا تلبث أن تختضب بجميع ألوان قوس السحاب عندما تنبري الأزاهير من مخابئها وتنثر على ضفاف السواقي، وفي الحقول والكروم والبساتين، وعلى جوانب الطرق وحتى في شقوق الصخور"[1]. وحين يخاطب نعيمة الطبيعة فإنه يخاطب إنساناً ويطلب من الله أن يغفر للذين ألحقوا به الأذى، هكذا كان حال نعيمة في مخاطبته النجاصة البرية:" السلام عليك أيتها النجاصة البرية، وليغفر الله للذين هشموا أغصانك عبثهم وطيشهم " [2]، ويمضي نعيمة في منهجه ويستمر في بعث الحياة في الطبيعة وعناصرها ومناجاته لها، فتظهر أجمل المعاني الإنسانية القائمة على صفاء القلب والروح، فتلك الساقية التي أحبها كثيراً والتي وعدته من قبل بأنها ستولم له بعد شهر وبعض الشهر– في أوائل أيار– وليمة لا مثيل لها من عطر الزيزفون والنسرين والوزال. ولا ينسى نعيمة أن يرسم صوراً للسنونوة، والحسون، وأبي الحناء، والشوحة، فكلها تبعث الحياة في الربيع، فيصير جيشاً يزحف ويزحف حتى يدرك القمة [3]. هذا وقد تعددت مقالات

(1)ميخائيل نعيمة، في مهب الريح، دار العلم للملايين – بيروت، المجموعة الكاملة - مجلد 5، ط3، 1987، ص 456.

(2) المصدر نفسه، ص 458.

(3)ميخائيل نعيمة، في مهب الريح، دار العلم للملايين – بيروت، المجموعة الكاملة - مجلد 5، ط3، 1987، ص 459.

نعيمة الوصفية، فنجد مقالاته (روسيا التي عرفتها)، و(وحضن الطبيعة)، و(عفوك يا لبنان)، وغيرها.

ج- **المقالة الثقافية**: والقصد منها تعريف القراء بـأعلام الفكـر الأوروبـي والأدب الأوروبي [1]، أو التعريف بأعلام الفكر والأدب في اللغات الـشرقية غيـر الغربيـة، ويمكن أن يعدُّ منها تحليل ودراسة كبار الشعراء والمفكرين العرب الذين كانـت لهـم شخصية انعكست في شعرهم بحيث أصبح من الممكن التقاط قسماتهم الشخصية مـن إنتاجهم الشعري [2]، ولنعيمة نصيب وافر من المقالات الثقافية، وقد تركز أغلب هذا اللون من المقالات في كتابة (في الغربال الجديد)، وقد حفلت مقالات نعيمة الثقافيـة هذه بتسليط الضوء على أعلام من الغرب أمثال:رالف أمرسون، وولـف هـوتمن ، وفريدريك نيتشه ، ومن الشرق: تولستوي، وبوفكين، وجواهرلال نهرو، وغيرهم.

ففي مقالة (رالف أمرسون) يقدم نعيمة إطراء وإعجاباً برالف أمرسون يظهر ذلك من خلال مجموعة من الأفكار طرحها نعيمة كان من أبرزهـا أن محـك الـشهرة الزمان، فيقول: " فكم بهر الناس برشاقة فنان أو علم عالم أو براعة شاعر وعنـدما طال بهؤلاء المدى انكشفت معايبهم فخذلهم حتى الذين صفقوا لهم وتحولوا عنهم إلـى الباقين في الميدان، والكاتب الذي أحدثكم عنه هو أحد الباقين في الميدان "[3]، ويتناول نعيمة في هذه المقالة حياة أمرسن الفكرية فقد قام أمرسن بحركة فكرية بمعاونة بعض الكتاب عرفت باسم (الترانسندنتاليزم) والكلمة تعني بلوغ الحقيقة عن طريـق البديهـة والفطرة والحس الباطني التي تتخطى جميعها حدود الحواس الخارجية[4] . أمَّا نقطـة

(1) محمد مندور، الأدب وفنونه،دار نهضة مصر، القاهرة، 1996، ص 178.
(2) محمد مندور، الأدب وفنونه، مرجع سابق، ص 192.
(3) ميخائيل نعيمة، في الغربال الجديد، مصدر سابق، ص 458.
(4) ميخائيل نعيمة، في الغربال الجديد،مصدر سابق، ص 460.

الانطلاق في تفكير أمرسن فهي أن الحقيقة لا تدرك بالحس والبرهان الحسي، بل بالحدس أو بالعارضة الباطنية، وأن الكون ليس بغير نظام أو منظم(1).

ويعرض نعيمة المؤلفات أمرسن " ترك أمرسن مؤلفات عدة منها مجموعة شعرية. ولكن شعره _على عكس نثره ـ كان جافاً، وكان متعَباً ومتعِباً، أمَّا مقالاته النثرية فتزخر بالحكمة، وقوة العارضة ونضارة الفكر، وتنبض بالحياة وتلتمع بومضات الخيال..." (2). ويختم نعيمة مقالته هذه بمقتطفات من مقالات أمرسن دونما تصميم أو ترتيب، كقوله في المطالعة:" إذا انصرف الأديب إلى قراءة الله مباشرة في أعماله فكل ساعة يصرفها في قراءة ما دونه الآخرون من مطالعاتهم هي ساعة مهدورة. إنما الكتب لساعات الفراغ " (3).

وفي مقالته (وولت هوتمن) يستهل نعيمة مقالته بالإشارة إلى تواضع أمريكي في فروع الفن والأدب والفلسفة إلا في حركة الشعر المنسرح، فقد كان الشاعر الأمريكي وولت هوتمن أول من دعا إلى هذا اللون من الشعر وأول من مارسه، وقد كان هذا الاستهلال مقدمة لوصف شخصية وولت هوتمن، "فقد كان الرجل مديد القامة، متين البنية، وسيم الطلعة، حالم العينين، بشوش الأسارير، واسع الخيال، ذا قلب غني بالمحبة وفكر طاهر من الغش، ونية صافية من الدنايا.." (4)، ويقدم ترجمة لحياة وولت هوتمن "ولد وولت هوتمن عام 1819 في مزرعة قريبة من نيويورك وكان أبوه فلاحاً ونجاراً من أصل انكليزي وأمه من أروقة هولندية. فتعلم النجارة من والده. ثم راح يفتش عن معاشه. فاشتغل ساعياً في مكتب للمحاماة ثم منضد أحرف في

(1) المصدر نفسه، ص 460.

(2) المصدر نفسه، ص 460.

(3) ميخائيل نعيمة، في الغربال الجديد،مصدر سابق، ص 461.

(4) ميخائيل نعيمة، في الغربال الجديد،مصدر سابق، ص 413.

مطبعة. ثم معلماً في مدرسة ريفية، ثم بحاراً ثم صحفياً، ثم عاد على حرفة والده يبني أكواخاً خشبية ويبيعها" [1].

ولاشك أن نعيمة وجد في مسيرة هوتمن ما أعجبه ووافق فكره، ذلك أن هوتمن كان يرى أن القوالب الشعرية القديمة بلغت منتهاها على أيدي الذين سبقوه من عباقرة الشعراء فلا جديد في محاكاتها أو في مجاراتها. ومن ثَمَّ فالشعر القديم كاد ينحصر في التغني بالمرأة وبالبطولة وفي شؤون الطبقات العليا من الناس [2]. ويقدم نعيمة مثالاً على أسلوب هوتمن ونفسه المديد قصيدته المشهورة (تحية العالم) التي يبدأها مخاطباً نفسه:" إليك يدي يا وولت هوتمن، وهيا معي"، ومن ثَمَّ يختم مقالته في وولت هوتمن الذي فارق الدنيا عام 1892 بعبارات الإطراء والثناء، فعبقرية هوتمن الجياشة بالحب والصدق والتعطش إلى الحرية والإيمان بجمال الحياة وقدسيتها هي التي كفلت لشعره البقاء حتى اليوم [3].

وفي مقالاته الثقافية تناول نعيمة أعلاماً من الشرق، فيتناول تولستوي بواحدة من هذه المقالات، ومن الحقائق المهمة في تقديم نعيمة تولستوي أن نعيمة قرأ مؤلفات تولستوي باللغة الروسية عندما كان يدرس في المدرسة الروسية الداخلية في الناصرة، وتابع قراءة تولستوي عندما كان يدرس في روسيا، وقد أشاد نعيمة كثيراً بتولوستوي وكان معجباً به إلى حد كبير فها هو يقول: " عظيم هو تولستوي لأنه مثل في شخصه: وفي أدبه، وفي حياته طبيعة الشعب الذي أنجبه... وسيبقى عظيماً لأنه كاتب عظيم، ولأنه حاول أن يحيا حياة العظماء من المصلحين والأنبياء"[4].

(1) المصدر نفسه، ص 414.
(2) المصدر نفسه، ص 414.
(3) المصدر نفسه، ص 417.
(4) ميخائيل نعيمة، في الغربال الجديد، مصدر سابق، ص 375.

د- **المقالة التأملية**: "وهي تعرض لمشكلات الحياة والكون، والنفس الإنسانية وتحاول أن تدرسها درساً لا يتقيد بمنهج الفلسفة ونظامها المنطقي الخاص، بل تكتفي بوجهة نظر الكاتب، وتفسيره الخاص للظواهر التي تحيط به "(1)، وإذا ما تأملنا أدب ميخائيل نعيمة وغيره من أعضاء الرابطة القلمية. فإنه يمكن القول إن ميّزة التأمل هي أبرز ما ميّز ذلك الأدب، وقد ذكر نعيمة نفسه أنه كثيراً ما يعتزل رفاقه في الدرس خلال طفولته ومرحلة صباه، ومطلع شبابه، ليخلو إلى تأملاته، ومناجاة ذاته، وحين كان تلميذاً في مدرسة المعلمين الروسية بالناصرة كان يفترق عن رفاقه التلاميذ ليمضي وحده متوغلاً في الجبل فيسترسل مع تأملاته ومخاطبة نفسه، فيقول: " كأن الوحدة السحيقة من الزمان التي تفصلني عن عهد المسيح قد انطمرت، فلا هو بالبعيد عني، ولا أنا بالقريب عنه، إنه شعور لا ينقاد إلى الوصف والتحليل " (2). ونعيمة من الأدباء الذين تعمقت صلتهم بالحياة وكثر تأمله في أسرارها وخفاياها وفي قوى الطبيعة وعناصرها والطبيعة هي ملهمته فنه وفلسفته: جمالها وتناسقها ألهماه فنه الجميل المتناسق، وحكمتها وعمقها ألهماه فلسفته الإنسانية الرحيمة ... (3).

وهاهو نعيمة في مقالته (سر الوجود) قد تعمق تأمله في الوجود وسحره، فنراه يغوص في أعماق النفس الإنسانية بكل أصنافها وتمثيل ما فيها من تساؤلات عن الوجود والكون والطبيعة، وهو في الوقت نفسه يقف موقف المتعجب من تلك النفوس، ويقول " أعجب ما في الناس أنهم أبداً يطلبون عجيبة، فلكم سمعت الشرار منهم والأتقياء، والجهلاء والعلماء يقولون: يا ليت الله يظهر ذاته بعجيبة، إذن لآمن به

(1) محمد يوسف نجم ، فن المقالة، مرجع سابق، ص118.

(2) ميخائيل نعيمة، سبعون، المجموعة الكاملة ، دار العلم للملايين، بيروت، مجلد1، 1979، ص 130.

(3) عيسى الناعوري، أدب المهجر، مرجع سابق، ص 379.

كل الناس على السواء ولارتدعوا عن الشر"(1). وحين يتعجب نعيمة من أولئك النـــاس الذين لم يبصروا الوجود وما فيه من سحر فإنه يلجأ إلى الـــسخرية مـــنهم، فيقـــول: "وكأنني ــ وأنا واقف أمامكم ــ لست عجيبة إلا إذا نبت لي جناحان وحلقت بهما فوق رؤوسكم، وكأنكم ــ وأنتم جالسون تجاهي ــ لستم عجائب إلا إذا تحولتم إلى أعمـــدة من المرمر، أولبستم قبع الخفاء فتلاشيتم فجأة في الفضاء "(2)، وحين يتأمل نعيمة فـــي الطبيعة فإنه يتأمل في أسرارها وعناصرها تأمل العاشق جمالها وأسرارها وكـــل مـــا فيها فإنه يعدُّ عجيبة، فالنحلة عجيبة، والزهرة عجيبة، والشجرة عجيبـــة، وإذا كانـــت الطبيعة عجيبة فالإنسان عجيب كذلك هذا الإنسان مختلف، فالإنسان كله شرور، فهـــو يقتل ويشرد، همه الشهرة، والثروة والسلطة، يقول نعيمة في هذا الإنسان:" أما ترونه في الحرب لا يسكر إلا بالدماء المهدورة، والأمعاء المقطعة، والأشلاء المبعثـــرة ؟... أو ما ترونه في السلم يسكر بانتزاع اللقمة من أخيه... لا ما نسيت أن الناس يتـــسلون بغير التقتيل والتدمير..." (3).

وتتجلى نزعة نعيمة الإنسانية في تعلم الحـــب والإخـــاء والحريـــة والمـــساواة والانعتاق من الذات في خاتمة هذه المقالة، فيقول: " ها هو ذا السحر الذي مـــا فوقـــه سحر ــ سحر الانعتاق من الذات التي تريد الاستئثار بكل شـــيء وهـــي لا شـــيء، والتلاشي في الذات التي لا تستأثر بشيء لأنها كل شيء، سحر التطهـــر مـــن رمـــاد الفردية المحصورة للاشتعال بنار الكلية الشاملة، سحر المحبة التي تقدم المحب قرباناً للمحبوب، والمحبوب قرباناً للمحب، فلا هي تفنى ولا قربانا يفنى "(4)

---

(1) ميخائيل نعيمة، البيادر، مصدر سابق، ص477.

(2) ميخائيل نعيمة، البيادر، مصدر سابق، ص477.

(3) المصدر نفسه، ص481.

(4) ميخائيل نعيمة، البيادر، مصدر سابق، ص 482.

وفي مقالة (خريف العمر) ينظر نعيمة نظرة واسعة إلى الحياة وإلى الوجود وعلى الأخص إلى النفس الإنسانية متعمقاً في هذه النفس تعمقه في الطبيعة وفصولها، ونعيمة وغيره من أدباء الرابطة القلمية من أخلص أبناء الطبيعة وعشاقها لذلك فهي توحي إليهم بالتأمل العميق في أسرارها، ومن يتأمل في هذه الطبيعة ف'نَّه يخرج بكنز ثمين، كنز الحس بالجمال والنظام والديمومة، فيرسم نعيمة صورة جميلة دقيقة لفصول السنة: الربيع فالصيف، فالخريف، فالشتاء " فالربيع هو انتفاضة الطبيعة المنغلقة على ما بها، وقد ملها الانغلاق فثار ثائرها على الأقفال والقيود، وراحت تحطمها يميناً وشمالاً دون تردد أو شفقة، فبراعم تتفتق عن أزهار وأوراق وأغصان، وبذور تنفض عنها الأكفان فتدرج من ظلمة الأرض إلى نور الشمس أعشاباً شذية ندية " (1).

ونعيمة حين يغوص في أعماق الطبيعة في فصولها فإنه يغوص في سر من أسرار الوجود كما هو الإنسان فالإنسان يمر بتلك الأدوار التي تمر بها الطبيعة، وكما يقول نعيمة: " فنحن بالنظام الذي تخضع له أجسادنا قد لا تختلف بكثير أو قليل عن النبتة والحشرة والبهيمة " (2). لكن نعيمة وإن عقد تلك المقارنة بين فصول السنة وفصول العمر إلا إنه يرى أن ذلك الإنسان المخلوق العجيب ليس كغيره من عناصر الوجود فهذا الإنسان يملك الفكر والخيال والإرادة ويرسم صورة دقيقة للإنسان في خريف العمر" يكثر التلفت إلى الوراء ويقل التطلع إلى الإمام... و في خريف العمر تتراخى لجاجة اللحم والدم إلى حد بعيد... وفي خريف العمر يحلو التأمل وتستطاب محاسبة النفس" (3). وأفضل ما يجنيه الإنسان من خريف العمر عند نعيمة هو الشعور

---

(1) ميخائيل نعيمة، النور والديجور، دار العلم للملايين –بيروت، المجموعة الكاملة، مجلد 5، ط3، 1987، ص 675.

(2)ميخائيل نعيمة، النور والديجور، مصدر سابق، ص 677.

(3) المصدر نفسه، ص 678-679.

بأن قلوباً كثيرة تنبض في قلبه نبض الصداقة والمحبة، فيتحقق بذلك المجتمع الإنساني الذي يسوده العدل والمحبة والرحمة، وتتحقق بذلك النزعة الإنسانية التي تدعو إلى اتساع القلوب للحب المطلق بكل الوجود، وهذه النزعة هي أهم ما امتاز به الأدب المهجري بنزعته التأملية الواسعة [1]. والأمثلة كثيرة والشواهد متعددة على تأملات نعيمة يستطيع الباحث أن يقف على كثير منها في (زاد المعاد)، و(المراحل)، و(البيادر).

2- **المقالة النقدية**: وتكون في حقول الأدب والفن وفيها تظهر قدرة الكاتب على تذوق الأثر الأدبي، ثم تعليل الأحكام وتفسيرها وتقديم الأثر بوجه عام[2]. ويمكن القول إن اغلب مقالات نعيمة النقدية قد تركزت في كتابه الغربال، وقد رأى الدكتور محمد مندور أن الغاية من هذا الكتاب هي: " الهجوم العنيف على الأدب العربي التقليدي المتزمت وعلى التحجر اللغوي ثم على العروض التقليدي "[3] .

وقد طرح نعيمة في هذا الكتاب كثيراً من الآراء الأفكار النقدية، كما تناول عدداً من الموضوعات الأدبية، فيتناول محور الأدب، وفي هذا المحور يتحدث نعيمة عن وجود الإنسان وسره الغامض فهذا الإنسان في صراع دائم مع الطبيعة، وهو يرى أن السر في ثبات الإنسان في مواجهة الطبيعة هو الروح غير الفانية في الإنسان، تلك الروح نشعر بها إنما لا ندركها، ويؤكد نعيمة عن محور الأدب هو الإنسان حول هذا المحور تدور علومه وفلسفته وصناعته وتجارته وفنونه وحول هذا المحور تدور آدابه[4].

---

(1)عيسى الناعوري، أدب المهجر، مرجع سابق، 93.

(2) محمد يوسف نجم ، فن المقالة، مرجع سابق، ص132.

(3) محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون، مرجع سابق، ص 29..

(4) ميخائيل نعيمة، الغربال، مصدر سابق، ص25.

وهنا يؤكد نعيمة أن الأدب الحقيقي هو رسل بين الكاتب والقارئ، يقول:" إذن فالأدب الذي هو أدب ليس إلا رسولاً بين نفس الكاتب ونفس سواه والأديب " (1). وفي كون الإنسان محور الأدب رأى نعيمة أنه لا يخلد من الآثار إلا ما كان فيه بعض الروح الخالدة، ولا يمكن للأدب أن يكون مسرحاً يظهر عليه الإنسان بكل مظاهر الروحية والجسدية، أمَّا الأديب الذي يستحق أن يدعى أديباً فهو "من يزود رسوله من قلبه ولبه"(2).

وتظهر دعوة نعيمة والرابطة القلمية إلى أدب جديد حين قال: "إن الرابطة القلمية ما كانت لتقدم هذه المجموعة إلى قراء العربية لولا اعتقادها بأنها قد اتخذت من الأدب رسولاً لا معرضاً للأزياء اللغوية والبهرجة العروضية"(3)، وفي مقالته (الشعر والشاعر)، يحدد نعيمة معنى الشعر الحقيقي انطلاقاً من نظرته إلى التجديد في الأدب وخاصة الشعر، فالشعر ليس وزناً وقافية من جهة وليس قوة حقيقية مبدعة من جهة ثانية، الشعر يكون في الجهتين "الشعر هو غلبة النور على الظلمة، والحق على الباطل، هو ترنيمة البلبل ونوح الورق، وخرير الجدول وقصف الرعد، هو ابتسامة الطفل ودمعة الثكلى، وتورد وجنة العذراء وتجعد وجه الشيخ..." (4)، والشعر أيضاً ميل جارف وحنين دائم إلى أرض لم نعرفها ولن نعرفها: هو انجذاب أبدي لمعانقة الكون بأسره والاتحاد مع كل ما في الكون من جماد ونبات وحيوان، هو الذات الروحية تتمدد حتى تلامس أطرافها أطراف الذات العالمية...(5). هذا التجديد للشعر يمكن القول إنه جاء نتيجة احتكاك نعيمة بالثقافة الغربية خاصة الحركة الرومانسية في

(1) المصدر نفسه، ص28.
(2) المصدر نفسه، ص 28.
(3) المصدر نفسه، ص 28.
(4) المصدر نفسه، ص 82.
(5) المصدر نفسه، ص 83.

إنكلترا وتعرفه شعراء مثل كيتس وكولردج وهازلت وغيرهم، وهو في تأثره بالثقافة الغربية ودعوته إلى التجديد في الشعر أنكر أن يكون للعرب شعراء مثل شكسبير وموليير، وهذا يعزز القول بأن نعيمة كان مطلعاً على أعمال هذين الأديبين الكبيرين، ويحدد نعيمة الشاعر بأنه " نبي وفيلسوف ومصور وموسيقي وكاهن. نبي لأنه لا يرى بعينه الروحية ما لا يراه كل البشر. ومصور لأنه يقدر أن يسكب ما يراه ويسمعه في قوالب جميلة من صور الكلام. وموسيقي لأنه يسمع أصواتاً متوازية حيث لا نسمع نحن سوى هدير وجعجعة... والشاعر كاهن لأنه يخدم إلها هو الحقيقة والجمال"[(1)]، وفي هذا التحديد تظهر رؤية الفكر الرومانسي الذي يهتم بالنفس الإنسانية وما تزخر به من عواطف ومشاعر وأخيلة. ويعدُّ كتاب الغربال من أهم المصادر النقدية التي بلورت مبادئ نعيمة النقدية، حيث حدد مفهوم النقد الأدبي بوصفه منهجاً يميّز جيد الأعمال من رديئها، وكشف ما فيها من جمال وقبح، وأشار إلى وجود مقاييس عامة للأدب داعياً إلى أدب حديث لأن النتاج الشعري في زمنه لم يعد كافياً لتلبية حاجات العصر وتطوره.

وفي مقالة نقدية أخرى لنعيمة عنوانها (نقيق الضفادع) تظهر فلسفته في لغة الشعر وهجومه الحاد على المتمسكين باللغة القاموسية المتكلفة، فيهزأ منهم مشبهاً أولئك الأدباء بالضفادع، كما شبه الضجة التي يحدثونها بالنقيق، فيقول: "مصيبة ضفادع الأدب يا سادتي إن الحياة تسير بهم وهم قعود، فيتوهمون أن الحياة قاعدة مثلهم، كما تدور الأرض بنا ونحن نيام ونقوم واهمين أننا لا نزال حيث كنا ساعة القينا بأنفسنا على الفراش، والحقيقة هي أننا بين غفلتنا ويقظتنا قد قطعنا مع الأرض مسافات شاسعة" [(2)].

---

(1) ميخائيل نعيمة، الغربال، مصدر سابق، ص 91.

(2) المصدر نفسه، ص 101.

وينظر نعيمة إلى اللغة على أنها مظهر من مظاهر الحياة، فهي التي تختار المناسب من اللغة، وكل لغة لا تخضع للتطور فإنَّها لا بدَّ أن تزول، لذا لابدَّ من ربط تطور اللغة بتطور المجتمع خاصة أن البشرية مشت: " ومشت معها لغاتها. فلا البشرية اليوم هي نفس البشرية التي كانت منذ قرون. ولا لغاتها هي عين اللغات التي كانت لها قبل هذا العصر وليس من ينكر ذلك إلا أعمى البصر والبصيرة. أمَّا السر في تقلب لغات البشر فليس في اللغات بل في البشر أنفسهم لأن الإنسان أوجد اللغة ولم توجد اللغة الإنسان"[1].

واللغة كما يراها نعيمة أيضاً ليست سوى مستودع رموز وأن الرموز اللغوية ليست الوحيدة التي توصلت إليها البشرية في سعيها وراء وسائل تفصح بها عن عوامل الحياة فيها... لا قيمة للرمز في ذاته. إنَّما قيمته مكتسبة مما يرمز إليه [2]. كما يدعو نعيمة إلى العناية باللغة لكن ليس حبا بها بل غيرة على الغاية التي نستعملها من أجلها، وهذا الأمر يجب أن لا ينسينا القصد من اللغة، فجميل أن نصرف همنا إلى تهذيبها وقبيح أن ننسى كونها رمزاً إلى ما هو أكبر منها بمراحل. ويختم نعيمة مقالته بتأكيد مبدأ التجديد في الأدب واللغة، فإذا غير شاعر أو كاتب رمزا من الرموز المألوفة، فلا مدعاة للقلق والخوف، فالرمز الجديد الذي غُيِّرَ سيُحتَفَظُ به رضي النحاة أم سخطوا [3]. ومن هنا يظهر أن قضية اللغة قد احتلت مكانة مهمة عند نعيمة فيرى أن اللغة قد وجدت لخدمة الناس ولم يوجدوا لخدمتها، وأن ليس على وجه الأرض لغة

(1) المصدر نفسه، ص 100.
(2) المصدر نفسه، ص 111.
(3) ميخائيل نعيمة، الغربال، مصدر سابق، ص 113.

كاملة بتركيبها كافية لتأدية انفعالات النفس وتماوجات العواطف والأفكـــار كلّهـــا وأن لانفع من أية قاعدة لغوية إلا بقدر ما ترفع من الالتباس وتساعد في دقة التعبير [1].

وإذا ما تابعنا دراسة كتاب الغربال فإنَّنا نجد كثيراً من المقـــالات النقديـــة التـــي تناولت آراء وأفكاراً نقدية مختلفـــة كمقـــالات (الغربلـــة)، و(الزحافـــات والعلـــل)، و(المقاييس الأدبية)، وفي كتاب (في مهب الريح) نجـــد مقـــالات (أوزار الماضـــي)، و(أوزار اللغة)، و(أوزار الاجتماع).

3- المقالة الفلسفية: يمكن القول إن المقالة الفلسفية هي التي تبحث في الموضوعات التي تشكل جوهراً في حياة الإنسان كأصل الكون، والموت والحياة، والبعث والنشور، والكشف عن أسرار الكون . ويمكن القول: إن هذه الأبعاد الفلسفية قد احتلت مـــساحة واضحة في المقالة عند نعيمة وخاصة في كتابيه: (زاد المعاد)، و(النور والـــديجور)، وفيهما بث نعيمة كثيراً من آرائه وأفكاره الفلسفية التي كـــان مـــن أهمهـــا (وحـــدة الوجود)، وهي التي تعني "الفناء المطلق في الله والفناء المطلق في الإنـــسان والفنـــاء الطلق في الطبيعة، وبكلمة أخرى فناء كل شيء في كل شيء..."[2]. فـــالوجود كلـــه واجد، فليس هناك إله وليس هناك إنسان، يقول نعيمة في مقالته (الخيال): " فكمـــا أن في بذور الأرز الصغيرة تنطوي كل أسرار الأرزة الكبيرة التي ولدتها، هكذا انطـــوت فيكم كل أمجاد القدرة التي بعثتكم من اللاوجود إلى الوجود... فأنتم سرمديون كالقدرة التي من رحمها انبعثتم، وفيكم كل أسرارها "[3]. ومن هذه الفكرة (وحـــدة الوجـــود) تتفرع آراء فلسفية أخرى لنعيمة، فقلل من قيمة العقل في تفهم أسرار الكون في الوقت الذي أعلى من قيمة الخيال في تفهم تلك الأسرار، فالعقل الذي يغـــالي النـــاس فـــي

---

(1) ميخائيل نعيمة، مذكرات الأرقش، دار العلم للملايين – بيروت، المجموعة الكاملة - مجلد 4، 1986، ص373.

(2) عيسى الناعوري، أدب المهجر، مرجع سابق، ص 380.

(3) ميخائيل نعيمة، زاد المعاد، مصدر سابق، ص 119.

تكريمه ليس سوى ولد جموح يقوده الخيال من أنفه وقد ينفق العقل أعماراً عديدة في درس مختلف النبات، أمَّا الخيال فقد يحط على وريقة من العشب فتتكشف له أسرار كل نبته(1).

ويرى نعيمة أيضاً أن لا حياة ولا موت، ولا فناء فالذين ماتوا والذين لم يولدوا سواء يقول نعيمة: " والخيال يعلمكم أن الأموات لم يموتوا ن فهاهي أشواقهم وأحلامهم وأفراحهم وأتراحهم، لعناتهم وبركاتهم لا تزال منبثة في الهواء الذين تتنفسون، وفي محيط الرغائب والأفكار الذي منه تستمدون رغائبكم وأفكاركم" (2). ويستمر نعيمة في بث آرائه الفلسفية، فليس هناك زمان ولا مكان، فكل الزمان يحشر في لحظة، وكل المكان يحصر في بقعة من الأرض، يقول نعيمة " والخيال الذي يطوي كل الزمان في (الآن) ويحشر كل المكان في (هنا) لا يبصر من هذا التفاوت شيئاً.. "(3).

وتظهر آراء نعيمة الفلسفية في مقالات أخرى، ففي مقالته (ينابيع الألم) أزال نعيمة الفواصل بين (أنا)، و(أنت)، و(هو) ، فأنا كل إنسان، وكل إنسان هو أنا فإذا أحب الإنسان إنساناً فإنما يحب نفسه وإذا أساء إليه فإنما يسيء إلى نفسه، يقول: "إن الوهم الذي تتفرغ منه كل أوهام الإنسان هو اعتقاده أن له ذاتاً منفصلةً عن كل ذات، وحياة مستقلة عن كل حياة. ولو سأل الإنسان نفسه يوماً: من أنا ؟ لما تمكن من إقامة حد بينه وبين شيء... وليس هناك أنا وأنتم " (4).

والوجود عند نعيمة كله واحد غير منفصل فليس هناك إله وإنسان، فالله هو نحن، وهو فينا الروح " في ذلك العالم - عالم الروح - يستحيل علي وعليكم أن نقيم حدوداً

---

(1) ميخائيل نعيمة، زاد المعاد، مصدر سابق، ص 121-122.

(2) ميخائيل نعيمة، زاد المعاد، مصدر سابق، ص 125.

(3) المصدر نفسه، ص 127.

(4) المصدر نفسه، ص163 - 164.

وفواصل....... أمَّا الذي لا حياة له فهو الذات المنفصلة عن الله، وأمَّا الذي لا حياة إلا به فهو الله نفسه "[1]، وتظهر هذه الفكرة أيضاً في مقالة (الأبواب المحطمة) حين تناول نعيمة فكرة الثواب و العقاب، فالثواب والعقاب هو سريان لأحكام القدرة الأزلية الموضوعية منذ أن تحرك النور في قلب الوجود بأولى خفقاته [2]، وفي هذا يقول نعيمة: " لقد نفخت مع الناس في البوق الذي يمجدون به ربا يميت ويحيي، ويعاقب ويثيب واليوم أنفخ في بوق رب فوق الحياة والموت وأرفع من العقاب والثواب، إذا قد وجدت إن القدرة التي ندعوها الله هي الكل في الكل، لا حالات فيها ولا صفات لها، ولا حقيقة إلاها. ولا وجود لشيء إلا فيها. فإن هي أماتتني فكأنها تميت ذاتها. لأنني منها وفيها وهل يمحو الله ذاته بذاته ؟ وإن هي عاقبتني فكأنها تعاقب ذاتها وتقتص من ذاتها لذاتها. وهل يذنب الله إلى الله ؟ "[3]، وفي مقاله (سلام الله وسلام الناس) يكون الله والطبيعة حقيقة واحدة وان الله هو الوجود الحق. وليس هناك امتلاك وحرمان، فالدنيا كلها وكل ما فيها للناس، يقول نعيمة: " الطبيعة جسد واحد بروح واحد، وأنا ما سمعتها يوماً تقول: هذا لي وهذا ليس لي . بل كل ما فيها لها وهي لكل ما فيها. فلا مالك ولا مملوك..." [4]. وليس هناك قوة ولا ضعف في الطبيعة فالقوي فيها يأتي دوره فيصبح ضعيفا " وهي ما جعلت الضعيف طعاماً للقوي إلا جعلت القوي طعاماً للضعيف، فلا ضعف فيها ولا قوة ولا محاباة ولا تمييز وهي تستخدم كل قواها لتخلق البرغشة و تحييها... " [5].

---

(1) المصدر نفسه، ص 164.

(2) عيسى الناعوري، أدب المهجر، مرجع سابق، ص 382.

(3) ميخائيل نعيمة، زاد المعاد، مصدر سابق ، ص 130.

(4) المصدر نفسه، ص 205.

(5) المصدر نفسه، ص 205.

من خلال ما تقدم فإن فلسفة نعيمة (وحدة الوجود) تظهر تأثره بغيره من المفكرين العرب كابن عربي والحلاج وتأثره بمفكري الغرب كاسبينوزا، وعماد هذه الفلسفة أن الخالق هو عين المخلوق، وأن الله يتمثل في الموجودات كلّها، وما الوجود إلا الخالق نفسه[1]. ومن أراد البحث في فلسفة نعيمة فإنها تظهر جلية واضحة في ما قدم من مقالات حملت آراؤه في الكون والحياة والوجود كما في كتابيه (زاد المعاد) و (النور والديجور).

الخصائص العامة لفن المقالة عند نعيمة:

1- التحرر من قيود القديم: حيث ثار نعيمة وغيره من أدباء الرابطة القلمية على الأدب العربي التقليدي- شكلاً ومضموناً في الوقت الذي دعا فيه إلى أدب جديد ومقاييس نقدية حديثة غيرت مسيرة الأدب كتلك المقاييس التي جاءت في كتابه الغربال، وهي: الحاجة إلى النور (الحقيقة)، والحاجة إلى الإفصاح عن خواطر النفس، والحاجة إلى الموسيقى، والحاجة إلى الجمال.

2- موسوعية ميخائيل نعيمة: فقد كان أديباً وناقداً وشاعراً ومفكراً، وجال في مقالاته في شتى فنون المعرفة، واتسم عطاؤه الفكري بالتنوع والشمول، وشملت قراءاته الأدب العربي والآداب العالمية، وكتب في كثير من الموضوعات المختلفة، فكتب في الموضوعات الأدبية والنقدية والفلسفية والاجتماعية وغير ذلك من فنون المعرفة.

3- بروز النزعة الإنسانية: وهي النظرة الواسعة إلى الحياة وإلى الوجود والدعوة إلى مجتمع إنساني يسوده العدل والرحمة والمحبة، ومن ثم السمو بالحياة البشرية وتحرير الإنسان من قيود الجهل، ومن حدود الإقليمية، فالإنسان هو محور الأدب،

(1) ابن عربي، فصوص الحكم، تعليق أبو العلاء عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 198، ص144.

ولهذا لا يخلد من الآثار إلا ما كان فيه بعض الروح الخالدة، ولا يمكن لـــلأدب إلا أن يكون "مسرحاً يظهر عليه الإنسان بكل مظاهر الروحية والجسدية" (1).

4- بروز نزعة التأمل: وفي هذه النزعة يتجرد الأدباء من طبيعة الطين، ويـــسمون فوق الحياة وفوق البشر، ويحلقون بأخيلتهم في عوالم مجهولة، يحللون النفس الإنسانية ويصورونها بدقة، ويحاولون إماطة اللثام عن أســرار الحيـاة، وأســرار مــا وراء الحياة(2)، ويمكن القول إن هذه النزعة قد شاعت في مقالات نعيمة خاصــة فــي زاد المعاد، والمراحل، والبيادر.

5- الأسلوب الفني والطابع الشخصي: وهنا تظهر شخصية نعيمة بطابعها الخـاص المستقل حيث البساطة والعفوية في التعبير، فقد عدل نعيمــة عــن الألفــاظ الجزلــة والاستعارات التقليدية والأسلوب الخطابي، واستعمل الألفاظ الرقيقة الموحية التي امتاز بها عن الآخرين، ونعيمة في ما يكتب كلّه له أسلوبه الخاص به ولغته البسيطة الجميلة الواضحة، وروحه هي هي، ونوع تفكيره العاطفي الخيالي هو هو(3).

6- التوسع في شكل المقالة: فقد كان طابع المقالة واضحاً على أكثر نتاج ميخائيــل نعيمة الأدبي، وقد راوحت مقالاته بين الطول والاعتدال وقد يصغر حجم المقالة إلـــى درجة الخاطرة، وقد تأتي المقالة على شكل حوار كما في مقالة (الحكيم والسمكة)، أو على شكل رسائل كما في كتابه (في الغربال الجديد).

---

(1)ميخائيل نعيمة، الغربال، مصدر سابق ، ص 26 – 27.

(2) عيسى الناعوري، أدب المهجر، مرجع سابق، ص 89.

(3) المصدر نفسه، ص 77.

المصادر والمراجع

1- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية – استانبول.
2- أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1984.
3- أحمد الشايب، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8، 1998.
4- أسعد دوراكوفيتش، نظرية الإبداع المهجرية في النقد الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1987.
5- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دار الكتب العلمية – بيروت.
6- زكي نجيب محمود، جنة العبيط، دار الشروق، بيروت،ط2، 1982.
7- عباس العقاد:
- شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، نهضة مصر - القاهرة.
- يسألونك، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1981.
8- عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية، بيروت، 1973.
9- عبد الفتاح الديدي،النقد والجمال عند العقاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.
10- عبد القادر الطويل، المقالة في أدب العقاد، الدار المصرية اللبنانية – القاهرة، 1987.
11- ابن عربي، محيي الدين بن عربي، فصوص الحكم، تعليق أبو العلاء عفيفي، دار الكتاب العرب، بيروت، ط2، 1980.
12- عيسى الناعوري، أدب المهجر، دار المعارف – بيروت، ط3.
13- محمد خفاجي، قصة الأدب المهجري، دار الكتاب اللبناني – بيروت، 1986.
14- محمد غنيمي هلال:
- الرومانتيكية، دار العودة – بيروت، 1973.
- قضايا معاصرة في الأدب والنقد، نهضة مصر، القاهرة.
15- محمد مندور:

- النقد والنقاد المعاصرون، دار نهضة مصر، القاهرة.
- الأدب وفنونه، دار نهضة مصر، القاهرة، 1996.
16- محمد يوسف نجم، فن المقالة، دار بيروت – بيروت، 1957.
17- ميخائيل نعيمة:
- أبعد من موسكو ومن واشنطن، المجموعة الكاملة، دار العلم للملايين، بيروت، مجلد 6 1987
- البيادر، المجموعة الكاملة، دار العلم للملايين – بيروت، مجلد4، 1986.
- الغربال، مؤسسة نوفل – بيروت، ط16، 1998.
- زاد المعاد، المجموعة الكاملة،دار العلم للملايين- بيروت، مجلد 5، ط3، 1987.
- سبعون، المجموعة الكاملة، دار العلم للملايين، بيروت، مجلد1، 1979.
- في الغربال الجديد، المجموعة الكاملة، دار العلم للملايين– بيروت، مجلد7، 1979.
- في مهب الريح، المجموعة الكاملة، دار العلم للملايين – بيروت، مجلد 5، ط1987،3.
- مذكرات الأرقش، المجموعة الكاملة، دار العلم للملايين-بيروت، مجلد4، 1986.
- مقالات متفرقة، المجموعة الكاملة، دار العلم للملايين – بيروت،ط2، 1979.
- النور والديجور، المجموعة الكاملة، دار العلم للملايين – بيروت، ط3، 1987.
18- نديم نعيمة، الفن والحياة، دار النهار للنشر، بيروت، 1973.
19- وليد منير، ميخائيل نعيمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة، 1993.
- الدوريات:
1- مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب – دمشق،ع 433، أيار، 2007.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2011/9/8.